الأصول الدلالية لصور المادة المعجمية
في معجم العين
دراسة مقارنة مع معجم مقاييس اللغة

د. سعد وحيد عيسى

الملخص

يُعنى البحث بدراسة صور المادة اللغوية الواحدة في دلالتها المتعددة بهدف إيجاد أصل دلالي واحد ينسلك فيه الجميع ويتطلب هذا الأمر فقه المسميات المعجمية ومعرفة المشتق من غيره والمجازي من الحقيقي ومدى الارتباط فيما بينها دلاليا لهذا فإن التعليل الدلالي وبيان سبب تبني المعاني لمسمياتها هنا أمر لامحيد عنه في تحقيق هذا الهدف ، إذ عبر كل هذا يتبين مدى ارتباط الصور الدلالية المختلفة بالمعنى العام الذي يحكم المادة اللغوية بأسرها .

Abstract

Means research study pictures article linguistic per the significance multi aim of finding out semantic one Inslk where everyone This requires jurisprudence Titles lexical knowledge derived from other and figuratively of the real extent of the link between Tagged for this, the reasoning semantic and explain why the adoption of the meanings of the denominations here is to Amehad him in achieve this goal, as through all of this can be seen how closely different semantic images in the general sense, which governs the language as a whole.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتمها على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين وعلى أصحابه المنتجبين.

إن هذا البحث يهتم بدراسة الصلات الدلالية بين الالفاظ العربية المستعملة التي ترد في المادة المعجمية الواحدة في أقدم المعاجم العربية وأهمها وهو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٥هـ.

ويحاول الباحث هنا في ظل اشتمال أغلب المواد اللغوية على معانٍ مختلفة واستعمالات متعددة أن يجد أصلاً دلالياً واحداً تنسلك فيه جميع المعاني التي تندرج ضمن المادة اللغوية الواحدة. وكان من الذين اهتموا بهذا الاتجاه اللغوي الكبير ابن فارس في معجمه القيم مقاييس اللغة لذا عقد الباحث بعد الاستئناس بآراء هذا اللغوي مقارنة لا تخلو من فائدة تذكر.

وكان لابد في هذا البحث من اختيار نماذج معينة من معجم العين الكبير لذا وقع الاختيار على مواد محددة ولاسيما تلك التي تميزت بغناها اللغوي المشحونة بالمعاني المتشعبة والدلالات الكثيرة.

إن البحث عن الاصل الدلالي المشترك للمادة اللغوية يتطلب فقه المسميات ومعرفة المشتق من غيره ومعرفة الاستعمال المجازي من الحقيقي ومدى ارتباط الالفاظ فيما بينها لهذا فان التعليل الدلالي وبيان سبب تبني المعاني للمسميات هنا امر لابد منه إذ عبر كل هذا يتبين مدى ارتباط الالفاظ بالمعنى العام الذي يحكم المادة بأسرها وهذا ما حاول ان يحرص عليه الباحث هنا في هذا البحث.

الأصول الدلالية لصور المادة المعجمية
في معجم العين

إن البحث عن أصل دلالي مشترك واحد لمادة لغوية معينة تندرج فيها معان ودلالات عدة قد يُعتقد أنها تعود إلى أكثر من أصل واحد هو أمر مهم جدير بالدراسة والاهتمام بدليل أن بعض اللغويين الكبار قد عد البحث في تلاقي المعاني على اختلاف الاصول والمباني أمراً حسناً، كثير المنفعة قوي الدلالة على شرف هذه اللغة[١]. فما بالك بدراسة تهتم ببيان أصل لغوي واحد تنسلك فيه جميع المفردات وتضمها مادة معجمية واحدة قد يُعتقد أنها تعود إلى أكثر من أصل واحد.

ولذا عقد ابن جني في هذا الاتجاه باباً قال عنه إنه ((خاص اللغة وسرها وطلاوتها الرائقة وجوهرها، فأما حفظها ساذجة وقمشها محطوبة هرجة فنعوذ بالله منه))[٢] داعياً إلى التأني والتلطف في دراسة الألفاظ اللغوية وضمها وملاءمة ذات بينها وصولاً إلى فقه دلالاتها بهدف بيان صلتها وطبيعة ارتباطها بغيرها وقد عد النتائج في هذا البحث دليلاً على ((لطف البارئ سبحانه في أن طبع الناس على هذا وأمكنهم من ترتيبه وتنزيله، وهداهم للتواضع عليه وتقريره))[٣] معرضاً بمن يغفل عن الحقائق التي تكمن وراء البحث في مسائله حتى قال: ((وأهل اللغة يسمعون هذا فيرونه ساذجاً غُفْلا ولا يحسنون لما نحن فيه من حديثه فرعاً ولا أصلاً))[٤].

والخليل هنا في معجمه قد يذكر الأصل الدلالي الذي تدور عليه المادة بجميع ما تضم كقوله مثلاً في مادة ((كرش)) حين قال: ((يُقال لكل مجتمع: كَرِش حتى لجماعة الناس))[٥] وفعلاً عند تتبع دلالات المفردات التي تنضوي تحت هذه المادة نلاحظ ان الجميع تعود إلى هذا الأصل كقوله:((استكرش الجدي: عظم بطنه... ويقال للصبي اذا عظم بطنه، وأخذ في الاكل: استكرش... وكَرِش الرجل: عياله من صغار ولده... وتزوج فلان فلانة فنثرت له بطنها وكَرِشها، أي كَثُر ولدُها وأتان

كرشاء: ضخمة الخاصرتين والبطن. حتى يقال للدلو المنتفخة النواحي: إنها لكرشاء. واذا تقبض جلدُ الوجه قيل: تكرش فلان، وفي كل جلد كذلك. والكَرشاء: ضرب من النبات.

وكان رجل يكنى ابا كرشاء، قال:

وإن أبا كَرشـاء لـيس بسـارق ولكن ممـا يسـرِقُ القـوم ياكـلُ))[٦]

ولعل سبب تسمية هذا الضرب من النبات بالكرشاء[٧] يعود الى ضخامة ساقه وغلضتها، عموماً فان المفردات التي تنضوي تحت هذه المادة ((كرش)) كلها دون

ريب تعُود إلى أصل واحد وهو ((التجمع)) أياً كانت مصاديق هذا التجمع وهي كثيرة منها: عظم البطن، كثرة العدد، تقبض الجلد، الضخامة، الغلظة، الانتفاخ وغيرها. واتساعاً في اللغة يمكن ان توصف أشياء عدة مادية ومعنوية بهذه الصفة ((كرش)) مثل قولهم للقدم اذا كثر لحمها واستوى أخمصها وقصرت أصابعها: كرشاء[٨] أما المعنوي فمنه قول النبي صلى الله عليه وآله: ((الانصار كرشي وعيبتي))[٩] وهو من المجاز أي((هم موضع سري وأمانتي كما أن الكرش موضع علف المعتاف))[١٠].

ولكن كثيراً ما تخلو المواد اللغوية في معجم العين من تحديد الأصل الدلالي المشترك بين جميع المفردات التي تنظم الى مادة معينة ولكي يستطيع الباحث ان يحدد ذلك الأصل عليه ان يقف عند كل لفظة معللاً السبب الذي من أجله انظمت دلالياً إلى ذلك الأصل دون أدنى تعسف أو قسر. وإن شاء الله سوف أقف عند بعض المواد اللغوية واضعاً كلام الخليل بين قوسين دون ما علقته عليه.

ش رك:

لم يرد في هذه المادة الأصل الدلالي المشترك بين جميع المفردات التي تنضوي تحت هذه المادة وعبر تتبع الدلالات التي تفصح عنها هذه المفردات يتضحُ أن الاصل الدلالي العام الذي يجمع الجميع هو المخالطة والمشاركة وإليك ما جاء في معجم العين مع بيان علة انضمامه الى الأصل العام قال الخليل:

((الشرك: ظلم عظيم))[١١]

وإنما كان الشرك ظلماً عظيماً لان المشرك يجعل مع الله تعالى من يشاركه في الربوبية والعبادة قال تعالى ((واعْبُدُواْ اللّه ولاَ تُشْرِكُواْ بِه شَيْئًا))[١٢].

((والشركة: مخالطة الشريكين))[١٣] وهذا الاختلاط بين الشريكين قد يرتبط بالعمل طلباً للرزق أو بغيره.

وهذا المعنى الاخير ((الاختلاط بين الشريكين)) ينطبق على المعاني الآتية التي ذكرها ((واشتركنا بمعنى تشاركنا... وتقول لِأم المرأة: هذه شريكتي، وفي المصاهرة تقول: رغبنا في شرككم وصهركم))[١٤].

((والشراك: سير النعل))[١٥] وإنما سميت بذلك لان سير النعل اشتركت في اقامتها.

ومثله قوله ((شَركت النعلَ تشريكاً))[١٦] أي وضعت فيها سيراً عدة اشتركت كلها في إقامتها.

وقول الخليل ((والشرك: أخاديد الطريق الواضح الذي تلحبه الاقدام والقوائم))[١٧] وسميت بذلك لان هذه الاخاديد قد اشتركت جميعاً في شق الطريق وبيانه وهي نفسها قد برزت بفعل اشتراك الاقدام والقوائم في السير عليها.

وقوله ((والطريق مشترك، أي الناس فيه شركاء، وكل شيء كان فيه القوم سواء فهو مشترك))[١٨] وهذا ينضم بلا ريب الى المعنى الاصلي وهو ((الاشتراك)).

أما قوله ((والشرك: حبالة يرتبك فيها الصيد، الواحدة: شَرَكة، الذي ينصب للحمام أيضاً قال:

ياقانص الحب قـد ظفـرت بنـا فحـل عنـا الشـباك والشـركا))[١٩]

فانه ينظم الى المعنى العام أيضاً فالشّرك وهو الحبالة التي يرتبك فيها الصيد سميت شركاً لاشتراك حبالها في ايقاع الصيد أو أن خيوطها قد اختلطت في هيأة من شأنها أن توقع مايراد صيده.

من هنا يتضح إن جميع مفردات هذه المادة ((شرك)) يمكن ارجاع دلالات مسمياتها إلى الاصل العام الذي يهيمن على الجميع وهذا الأصل هو: المشاركة والاختلاط.

لكن ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة قد ذكر لهذه المادة أصلين حين قال: ((الشين والراء والكاف اصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة فالأول الشركة... وأما الاصل الآخر فالشرك: لُقم الطريق، وهو شراكُه أيضاً. وشراك النعل مشبه بهذا. ومنه شرك الصائد، سمي بذلك لامتداده))[٢٠].

على حين أن الاصل الثاني الذي ذكره وسماه بـ((الامتداد والاستقامة)) في واقع الأمر يعود إلى الاصل الاول فلقم الطريق وهي أخاديده لاتقتضي الاستقامة دائماً فقد تكون منحنية ومختلطة وهذا هو الغالب وكذلك شراك النعل فهي غير مستقيمة في الاغلب بل متشابكة. اما شرك الصائد فانه وإن كان ممتداً فإن خُيُوطه المتشابكة المتداخلة هي التي اشتركت في اقامته وايقاع الصيد فيه ودليل ذلك قول ابن فارس نفسه في مادة ((شبك)) قال عنه: ((أصل صحيح يدل على تداخل الشيء... ومن ذلك الشبكة))[٢١].

وينضم إلى هذا الاصل الوحيد في هذه المادة استعمالات أُخرى كالذي جاء في صحاح الجوهري:

((قال الاصمعي: يقال رأيت فلاناً مشتركاً، اذا كان يحدث نفسه كالمهموم))[٢٢] والذي يحدث نفسه كأنما يشترك معه شخص آخر في هذا الحديث، وهكذا في قولهم: ((لطمه لطماً شركياً))[٢٣] أي سريعاً متتابعاً مشتركاً قد اشتركت كلتا يديه فيه قال أوس:

وما أنا إلاّ مستَعد كما ترى أخو شُركي الورد غير معتم

وقد عد الزمخشري قولهم ((مضوا على شراك واحد)) من المجاز[٢٤] وينضم هذا الاستعمال بلا ريب الى المعنى العام أي: مضوا على مشاركة واحدة والله أعلم.

ض ن ك:

إن الاصل الدلالي الذي تنضوي تحته جميع استعمالات هذه المادة هو: الضيق وقد ذكر الخليل هذا المعنى في معجمه لكنه لم يؤكده أو يُبينه في جميع الاستعمالات الواردة في هذه المادة. جاء في العين: ((الضنك: الضيق ويفسر قوله جل وعز: ((فَإِن لَهُ معيشَةً ضنكًا))[٢٥] كل مالم يكن حلالاً فهو ضنْك وإن كان موسعاً عليه وقد ضنك عيشه قال:

لقد رأيت أبا ليلى بمنزلةٍ ضنكٍ يخير بين السيف والأسد))[٢٦]

وإلى هنا فإن دلالة الضيق واضحة وصريحة وهي كذلك في بقية الاستعمالات نحو قوله: ((الضناك: الزكام، ضُنك فهو مضنوك))[٢٧] والخليل لم يوضح صلة هذا الاستعمال بالدلالة العامة لكنه لا يخرج عنها فالمزكوم يبقى تنفسه في ضيق إذْ لايدخل الهواء الى جوفه أو يخرج إلا بصعوبة. وهكذا قولهم: ((رجل ضنَاك، وامرأة ضناك))[٢٨] أي: المكتنز الصلب اللحم، والمكتنزة الصلبة اللحم، حتى أن اللحم لشدة تراكمه في الجسم في ضيق لتضاغط بعضه على بعض.

هذا كل ما جاء في العين وتنتظم جميع هذه الاستعمالات في هذا السلك الدلالي الذي مر معناه وهو ((الضيق)).

لكن ابن فارس يرى في هذه المادة نفسها أنها تفصح عن أصلين صحيحين الاول هو: الضيق والآخر هو: المرض. فيقول: ((فالأول الضنْك: الضيق. ومن الباب: امرأة ضناك: مكتنزة اللحم، اذا اكتنز تضاغط. والاصل الآخر: المضنوك: المزكوم. والضناك الزكام. والله أعلم))[٢٩].

وابن فارس مصيب في تحليله الدلالي لمعنى اكتناز اللحم لكنه جانب الصواب حين أَصل لهذه المادة بأصلٍ آخر استمده من قولهم: المضنوك: المزكوم. والضناك

الزكام. ولم يجتهد في تحليله دلالياً ورده الى الاصل الاول نفسه فالمزكوم يبقى شهيقه وزفيره في ضيق لافت يسترعي أحياناً انتباه الآخرين، من هنا وُصف المزكوم بالمضنوك ولا أدري كيف فاتت هذه الدلالة ابن فارس وكيف غابت عنه!!. واذا عرفنا أخيراً ذلك فان جميع استعمالات هذه المادة (ضنك) تعود كلها الى أصل واحد وهو: الضيق.

ك د ر:

الاصل الدلالي العام الذي تنظم إليه جميع مفردات مادة ((كدر)) هو عدم الصفاء سواء أكان مادياً أم معنوياً. قال الخليل: ((الكدر: نقيض الصفاء. وكدر عيشه كدراً فهو كدير أكدر. وماء أكدر: كدر))[٣٠].

فالكدر في العيش شيء معنوي وفي الماء مادي. ويصرح الخليل بشمولية هذه الدلالة ((الكدر)) في جميع الاستعمالات يقول: ((والكدرة في اللون، والكدورة في العيش والماء، والكدر في كل شيء))[٣١].

وجميع المعاني المادية الاخرى التي يوردها الخليل تندرج تحت هذا الأصل الدلالي أيضاً وهو عدم الصفاء كقوله: ((والكدرة: القُلاعة الضخمة من مدر الارض المثارة، والكُدرية من القطا: ضرب منه فهي كدراء اللون))[٣٢] فكأنما شاب لونَها لون آخر عدل به عن الصفاء.

أما دلالة وصف القوم بالانكدار في قولهم ((وانكدر القوم جاءوا أرسالاً حتى انصبوا عليهم))[٣٣] فانها تصب في الدلالة العامة نفسها لأن انصبابهم على غيرهم عند القتال من شأنه أن يؤدي الى الاختلاط بهم على نحو يتبدد فيه جمعهم وصفوفهم لذا قيل: انكدر القوم.

أما قوله: ((والمنكدر: طريق بين طريق مكة من البصرة الى مكة))[٣٤] فان دلالته تُنبيء بعدم صفاء هذا الطريق استقامة أو طبيعةً.

ويختم الخليل مادة ((كدر)) بذكر اسماء لأعلام حملت هذا الاسم مثل كدير والمنكدر[٣٥].

ومن هنا يتضح ان دلالة عدم الصفاء هو مايحكم استعمالات هذه المادة.

لكن ابن فارس له رأي آخر حين أضاف أصلاً دلالياً آخر لهذه المادة في قوله: ((الكاف والدال والراء أصل يدل على خلاف الصفو والآخر يدل على حركة))[٣٦].

ويذكر للأصل الاول الاستعمالات الآتية ((الكُديراء لبن حليب ينقع فيه تمر))[٣٧] ومن شأن هذا التنقيع أن يُغير في لون الحليب الناصع على أثر اختلاطه بالتمر.

ومنه ((نبات اكدر: حمر وحش نسبت الى فحل ولعل ذلك اللون اكدر))[٣٨] وهو ينضم الى الاصل العام.

لكنهُ يُخرج عن هذا الاصل استعمالاً دلالياً ورد في القرآن الكريم ليجعله اصلاً قائماً بذاته يقول: ((وأما الاصل الآخر فيقال انكدر، اذا اسرع قال تعالى((وإذَا النجُومُ انكدرتْ))[٣٩].

وعند امعان النظر يتضح أن هذه الدلالة القرآنية التي عدها ابن فارس اصلاً ثانياً في هذه المادة يمكن أن تنضم إلى الاصل الاول وهو الاصل العام الذي يفصح كما مر عن عدم الصفاء. جاء في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة الدينوري إن معنى انكدرت ((انتثرتْ وانصبت))[٤٠] ولاشك بأن هذا الانتثار والانصباب من شأنه أن يبدد صفو النظام الذي كان يحكم هذه النجوم وقد ذكر الطبرسي أن ((الانكدار انقلاب الشيء حتى يصير اعلاه اسفله بما لو كان ماء لتكدر))[٤١] ويلازم كل هذا تغير وكدورة يشمل كل كيانها والى هذا المعنى ذهب الجبائي والراغب الاصفهاني في قوله: ((والانكدار: تغير من انتثار الشيء قال تعالى: ((وإذَا النجُومُ انكدرتْ)) وانكدر القوم على كذا: اذا قصدوا متناثرين عليه))[٤٢].

ومن هنا فان هذا الاصل الثاني الذي ذكره ابن فارس سوف ينضم الى الاصل الاول ليتوحد الاصلان معاً ولتصبح الدلالة العامة التي تحكم استعمالات هذه المادة محصورة في دلالة ((نقيض الصفو))[٤٣].

ك س ح:

المعنى الدلالي الحقيقي الكلي الذي يحيط بالألفاظ المستعملة في هذه المادة عند الخليل يدل على تنقية الشيء عبر كنسه جاء في العين: ((الكساحة تراب مجموع وكسح بالمكسحة كسحاً أي كنساً، والمكاسحة: المشارة الشديدة، والكسح: شلل في احدى الرجلين اذا مشى جرها جرا، ورجل كسحان، وكسح يكسح كسحاً فهو اكسح قال:

كل ما يقطع من داء الكسح)) [٤٤]

وواضح أن تسمية الشلل الذي يصيب احدى الرجلين بالكسح جاء من أن المصاب به حين يمشي يجر رجله جراً على الارض فكأنما يكسح بها التراب الذي تمر عليه كالمكسحة تماماً.

ولاتقف حدود استعمال هذه اللفظة عند هذه الدلالات الحقيقية فقط بل يتعدى استعمالها الى معانٍ مجازية اخرى من مثل قولهم ((أتينا بني فلان فكسحناهم.. وكسحهم الدهر.. وكسح فلان من مالي ما شاء))[٤٥].

لكن ابن فارس يُرجع استعمالات هذه المادة الى دلالتين احداهما: تنقية الشيء، والمعنى الآخر: عيب في الخلقة. يقول عن المعنى الثاني: ((والثاني: الكسح، وهو العرج. والاكسح الاعرج قال الاعشى:

وخذول الرجل من غير كَسح)) [٤٦]

والكسح وإن صح أنه نوع من أنواع العرج مثلما ذكر ابن فارس إلاّ أن الصفة الملازمة له التي تميزه عن غيره من أنواع العرج أن المصاب به يجر رجله جراً حين يمشي وهذه الصفة اشار اليها الخليل في قوله الذي مر: ((والكسح: شلل في احدى الرجلين اذا مشى جرها جراً))[٤٧].

وهذا الوصف الدلالي الدقيق لمعنى ((الكسح)) يدلنا هنا على أن هذا الاستعمال لم يخرج عن الاصل الدلالي العام الذي يحكم الاستعمالات المتفرعة عن هذه المادة لما يستلزم لهذا الوصف الدلالي أي ((جر الرجل جراً)) من كسح للأرض أو لترابها وهي الدلالة الحقيقية التي تنضوي تحتها جميع استعمالات هذه المادة لكنها لا تنفرد هنا وحدها بل تتعدى الى دلالات مجازية اخرى مثلما مر. نعم يصح القول بأن المعاني الحقيقية هي الاسبق وجوداً واستعمالاً من المعاني المجازية -هذا اذا سلمنا بان اللغة مواضعة واصطلاح- لأن طول الاستعمال للفظ في سياقات عدة سوف ينتقل به من معناه الحقيقي الذي وضع له الى معنى مجازي جديد لكنه يبقى يدور في حدود الأطر الدلالية التي يتحملها اللفظ وإن أي استعمال بعيد عن هذه الاطر فانه سرعان ما يضمحل ويُنسى ولن يكتب له البقاء طويلاً لِبُعده عن روح اللغة التي تابى أن تتغير وفقاً للاهواء والامزجة البعيدة عن الحس والذوق العام. مثلما نجد ذلك في كثير من المجازات التي يستعملها عدد من الشعراء المحدثين.

ك س ف:

الكسف: هي القطع من الاجسام المختلفة المادية والمعنوية المتخلخلة الحائلة التي من شأنها أن تحدث تغييراً في طبيعة الاشياء الى مالا يُحب.

وهذا المحتوى الدلالي لـ((كسف)) هو المعنى العام الذي تنضم إليه جميع استعمالات هذه المادة. جاء في العين: ((كسف القمر يكسف كسوفاً، والشمس تكسف كذلك))[٤٨] ودلالته واضحة فما يصيب الشمس والقمر من كسوف وخسوف يحصل حينما تشكل قطع من الارض والقمر حائلاً طبيعياً من شأنه ان يغير الحال المألوفة التي كانت عليهما فيخبو أو يختفي الضوء الصادر عنهما.

وبهذا الكسوف شبه مجازاً كسوف الوجه والحال فكأنما قطع ظللت الوجه حتى غيرت ملامحه الى مالا يحب فصار عابساً. قال الخليل: ((ورجل كاسف الوجه: عابس من سوء الحال. كسف في وجهي وعبس كسوفاً))[٤٩].

وما ينضم الى الدلالة العامة قول الخليل ((الكسفة: قطعة سحاب، أو قطعة قطن أو صوف فاذا كان واسعاً كبيراً فهو كسف، ولو سقط من السماء جانب فهو كسف))[٥٠].

وقد وردت هذه اللفظة بهذه الدلالة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((ويجعلُهُ كسفًا فَتَرى الْودقَ يخْرُجُ من خلاِله))[٥١] وقوله تعالى: ((فأسقطْ علَينَا كسفًا من السماء))[٥٢] ويدخل في هذه الدلالة ايضاً مع تحول دلالي ملحوظ قول الخليل ((الكسف: قطع العرقوب[٥٣] بالسيف كسفَه يكسفُهُ))[٥٤] ومنه قول أبي زيد: ((كسفت الثوب أكسفه كسفا: اذا قطعته قواماً))[٥٥] وقد جاء في معجم الصحاح: كسفت البعير اذا قطعت عرقوبه وكذلك كسفت الثوب اذا قطعته والتكسيف: التقطيع))[٥٦].

وهنا نلمح تحولاً دلالياً جديداً في استعمال هذه اللفظة فبعد أن كانت الكسفة هي القطعة فقد أصبح فعل التقطيع نفسه يطلق عليه اسم التكسيف والعلاقة التي تربط بينهما تُجيز مثل هذا الاطلاق.

ولاتقف مادة ((كسف)) عند حدود الاستعمال الحقيقي بل يتوسع في استعمالها مجازاً في تعبيرات لغوية عدة تضاف الى ماذكره الخليل في قوله الذي مر: ((رجل كاسف الوجه: عابس)) قال الزمخشري في ((كسف)): ((ومن المجاز رجل كاسف الوجه: عابس وقد كسف وجهه وكاسف البال: سيء الحال، وكسفت حاله، وكسف بصره اذا لم ينفتح من رمد وكسف بصره: خفضه)) فالكسوف لا ينال الشمس فقط بل يتعدى الى الوجه والحال والبصر عند اصابته أو عند خفضه. ومن هنا فإن لهذا اللفظ وأمثاله دلالة عامة تفصح عنها الاستعمالات الحقيقية والمجازية، المادية والمجردة جميعاً.

لكن ابن فارس يُرجع أصل ((كسف)) الى دلالتين هما ((تغير في حال الشيء إلى ما لا يحب وعلى قطع شيء من شيء))[٥٧] على حين يجد الذي يبحث في تأنٍ وروية أن هاتين الدلالتين ترجعان في واقع الامر الى دلالة واحدة مثلما مر.

إن أشباه هذه الالفاظ التي مرت كثير في لغتنا يظن بعض الدارسين مثلما ظَن ابن الفارس أن لها اكثر من أصل دلالي واحد لكن الحقيقة بخلاف ذلك فعند التأني والتلطف والملاءمة يمكن ارجاع جميع الاستعمالات التي وردت على لسان أصحاب هذه اللغة ضمن إعادة الواحدة إلى أصل واحد فقط والشواهد التي وردت بلا ريب هي نماذج تعبر عن تلك الحقيقة.

إن هذا المبحث اللطيف والمهم والحيوي في فقه العربية يبقى بابه مفتوحا على مصراعيه بانتظار تقديم رؤية ودراسة متكاملة ومفصلة لكل مادة بل لكل لفظ لانه حاجة ملحة مازالت تفتقر إليها العربية فمثل هذه الدراسة تعين كثيراً على وضع المعجم التاريخي الذي ينتظر النور.

إن معرفة الاصل الذي انبثقت منه جميع المعاني والمسميات وما طرأ عليها من تحولات دلالية سوف يسهم بلا ريب في تقديم دراسة تاريخية علمية لعربيتنا الخالدة.

الخاتمة

إن أهم النتائج التي توصل اليها البحث هي:

١. إن هذا البحث يهتم بدراسة الصلات الدلالية بين الالفاظ التي تندرج ضمن مادة لغوية واحدة بحثاً عن الاصل الدلالي العام الذي تنضوي فيه جميع الاستعمالات في اقدم المعاجم العربية وأهمها وهو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ومقارنة نتائج البحث بما يراه أحد العلماء اللغويين الكبار الذي أهتم اهتماماً ملحوظاً في معجمه بتتبع الاصل الدلالي لكل مادة وهو العالم ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة.

٢. إن كثيراً من المواد اللغوية تنتهي بعد البحث في استعمالاتها المتعددة الى أصل واحد بعكس ما يراه ابن فارس نفسه في معجمه مقاييس اللغة على الرغم من حرصه الكبير فيه على البحث عن ذلك الاصل وهي مفارقة تلفت النظر!!.

٣. إن دراسة الاصل الدلالي عبر استعمالاته وتحولاته الدلالية الحقيقية منها والمجازية والاشارة اليها في صميم البحث سوف يسهم في تقديم رؤية واضحة للالفاظ المعجمية ويُعين في وضع المعجم التأريخي الذي تفتقر إليه العربية.

٤. الدعوة الى التأني والتلطف في دراسة الالفاظ وضمها وملاءمة ذات بينها وصولاً الى فقه دلالاتها ومسمياتها وأصولها بهدف بيان طبيعة ارتباطها بغيرها يعد كما يرى بعض اللغويين من صميم فقه اللغة وسرها وطلاوتها الرائقة وهو كثير المنفعة قوي الدلالة على شرف هذه اللغة.

٥. الخليل بن أحمد الفراهيدي قد يذكر في معجمه الاصل الدلالي الذي تدور عليه جميع الاستعمالات اللغوية للمادة الواحدة وكثيراً ما يهمل بيان الاصل الدلالي العام الذي تنضوي تحته جميع الاستعمالات.

٦. تتحول دلالة الالفاظ الى درجة يُظن فيها أن لها أصلاً آخر يعد بعيداً عن الاصل العام وتنتقل الالفاظ بعد طول استعمال من المعاني الحقيقية الى المعاني المجازية اذا سلمنا بالنظرية التي ترى أن اللغة مواضعة إصطلاح.

٧. لدلالة الالفاظ حدود وأطر تدور فيها جميع الاستعمالات اللغوية وأن أي خروج عن هذه الحدود ولاسيما في التعبيرات المجازية البعيدة عن الحس والذوق وروح اللغة بحثاً عن الجديد سوف لن يجدي نفعاً في اغناء هذه اللغة العريقة.

الهوامش

١ـ ينظر الخصائص ٢/ ١١٥.

٢ـ المصدر نفسه ٢/ ١٢٧.

٣ـ المصدر نفسه ٢/ ١١٩.

٤ـ المصدر نفسه ٢/ ١٢٥.

٥ـ ينظر العين ٥/ ٢٩١.

٦ـ العين ٥/ ٢٩١ – ٢٩٢.

٧ـ معجم الصحاح ١/ ٨٠٠.

٨ـ ينظر المصدر نفسه ٥/ ٢٩٢.

٩ـ معجم الصحاح ١/ ٨٠٠ واساس البلاغة ٥٤٠.

١٠ـ اساس البلاغة ٥٤٠.

١١ـ العين ٥/ ٢٩٣.

١٢ـ النساء ٣٦.

١٣ـ العين ٥/ ٢٩٣.

١٤ـ العين ٥/ ٢٩٣.

١٥ـ المصدر نفسه ٥/ ٢٩٣.

١٦ـ المصدر نفسه ٥/ ٢٩٣.

١٧ـ المصدر نفسه ٥/ ٢٩٤.

١٨ـ المصدر نفسه ٥/ ٢٩٣.

١٩ـ العين ٥/ ٢٩٤.

٢٠ـ معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٦٥.

٢١ـ المصدر نفسه ٣/ ٢٤٢.

٢٢ـ الصحاح ٢/ ١٢٠٣.

٢٣ـ المصدر نفسه ٢/ ١٢٠٤.

٢٤ـ اساس البلاغة ٣٢٨.

٢٥ـ طه ١٢٤.

٢٦ـ العين ٥/ ٣٠٢ وفي اساس البلاغة رواية الشطر الثاني: يخير بين السيف والاسل.

٢٧ـ العين ٥/ ٣٠٢-٣٠٣.

٢٨ـ المصدر نفسه ٥/ ٣٠٢.

٢٩ـ مقاييس اللغة ٣/ ٣٧٤.

٣٠ـ العين ٥/ ٣٢٥.

٣١ـ المصدر نفسه ٥/ ٣٢٦.

٣٢ـ المصدر نفسه ٥/ ٣٢٦.
٣٣ـ المصدر نفسه ٥/ ٣٢٦.
٣٤ـ المصدر نفسه ٥/ ٣٢٦.
٣٥ـ العين ٥/ ٣٢٦.
٣٦ـ مقاييس اللغة ٥/ ١٦٤.
٣٧ـ المصدر نفسه ٥/ ١٦٤.
٣٨ـ المصدر نفسه ٥/ ١٦٤.
٣٩ـ التكوير ٢.
٤٠ـ تفسير غريب القرآن ٥١٦.
٤١ـ مجمع البيان ١٠/ ٤٤٢ المجلد الخامس.
٤٢ـ ينظر المصدر نفسه ١٠/ ٤٤٢ المجلد الخامس.
٤٣ـ مفردات الفاظ القرآن ٧٠٤.
٤٤ـ العين ٣/ ٥٩.
٤٥ـ اساس البلاغة ٥٤٣.
٤٦ـ مقاييس اللغة ٥/ ١٧٩.
٤٧ـ العين ٣/ ٥٩.
٤٨ـ العين ٥/ ٣١٤.
٤٩ـ نفسه ٥/ ٣١٤-٣١٥.
٥٠ـ نفسه ٥/ ٣١٥.
٥١ـ الروم ٤٨.
٥٢ـ الشعراء ١٨٧.
٥٣ـ عرقوب الابل: هو العصب الغليظ ويقع في رجلي الدابة ينظر الصحاح ١/ ١٩١.
٥٤ـ العين ٥/ ٣١٤.
٥٥ـ مفردات الفاظ القرآن الكريم ٧١١.
٥٦ـ الصحاح ١/ ١٩٠.
٥٧ـ مقاييس اللغة ٥/ ١٧٧.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أساس البلاغة: جار الله الزمخشري، دار الفكر للطباعة، بيروت، ط١ ١٤٢٦-٢٠٠٦م.
٣. تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة الدينوري تحقيق السيد أحمد صقر. المكتبة العلمية بيروت ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.
٤. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٠م.
٥. الصحاح المسمى: تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري حققه وضبطه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.
٦. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر بغداد، ١٩٨٠-١٩٨٥م.
٧. مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي. تصحيح وتحقيق وتعليق السيد هاشم الرسول المحلاتي، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٧٩قمري ١٣٣٩ شمسي.
٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة القدس – قم ط١ ١٣٨٦هـ.
٩. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ط٣ ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.
١٠. مفردات ألفاظ القرآن: للعلامة الراغب الاصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داووي منشورات طليعة النور. قم ط١ ١٤١٦هـ.